The Ottoman Empire during the reign of Sultan Selim III (1789-1807)

Dr. Ali Ibrahim[*]
Dr. Alaauddin Jabour[**]
Hassan Mahmoud[***]

(Received 4 / 10 / 2024. Accepted 19 / 11 / 2024)

□ ABSTRACT □

This research talks about one of the ottoman sultan who played amajor role in trying to reform and develop the Ottoman state after it was weakened and disintegrated during the period of the weak sultans, and European countries became bolder towards it and reduced its area, and internal disturbances occurred in it in addition to the janissaries domination over the sultans and the general implementation of orders issued to them, and corruption spread throughout it from buying the appropriate and the high cost of aid and the authority of unjust men over important positions in the state, so Sultan selim III when he reached the throne of the Ottoman Empire, its response was weakness and disintegration, which benefited him to work on trying to develop the Ottoman state and return it to what it was in the time of the strong sultans who were sponsoring Europe, and the janissary forces marched under his authority and the victories over the European armies and helped to expand the area of the Ottoman state, so the rise of Sultan selim III by making new reform arrangements in the Ottoman state internally and externally was not an easy matter in a state that had reached an advanced stage from weakness and dissolution, but he faced many difficulties in trying to control and lead the Ottoman Empire.

Key words: Selim III, repairs, janissary forces, European countries.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

[*]**Assistant Professor - Faculty of Arts and Humanities - University of Tishreen- Lattakia- Syria**
[**]**Assistant Professor - Faculty of Arts and Humanities - University of Tishreen- Lattakia- Syria**
[***]**Master's Student - Faculty of Arts and Humanities - University of Tishreen- Lattakia- Syria**

الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الثالث (1789-1807م)

د. علي إبراهيم*

د. علاء الدين جبور**

حسن محمود***

(تاريخ الإيداع 4 / 10 / 2024. قبل للنشر في 19 / 11 / 2024)

□ ملخّص □

تحدث هذا البحث عن أحد السلاطين العثمانيين الذي أدى دوراً كبيراً في محاولة إصلاح وتطوير الدولة العثمانية بعد ما أصابها من الضعف والانحلال في فترة السلاطين الضعاف، وأصبحت تتجرأ عليها الدول الأوروبية وتقلص من مساحتها، كما حدث فيها اضطرابات داخلية بالإضافة إلى تسلط الانكشارية على السلاطين وعدم تنفيذ الأوامر الصادرة لهم، وانتشر الفساد في انحائها من شراء المناصب وغلاء المعيشة وتسلط رجال غير أكفاء على المراكز الهامة في الدولة، فالسلطان سليم الثالث عندما وصل إلى عرش السلطنة العثمانية كان يدب فيها الضعف والانحلال، مما دفعه للعمل على محاولة تطوير الدولة العثمانية وإعادتها إلى ما كانت عليه زمن السلاطين الأقوياء الذين كانوا يرعبون أوروبا، وتسير قوات الانكشارية تحت سلطتهم ويحققون الانتصارات على الجيوش الأوروبية ويعملون على توسيع مساحة الدولة العثمانية، فرغبة السلطان سليم الثالث بإجراء ترتيبات إصلاحية جديدة في الدولة العثمانية داخلية وخارجية لم تكن بالأمر اليسير في دولة وصلت إلى مرحلة متقدمة من الضعف والانحلال بل واجهته صعوبات كثيرة في محاولة السيطرة وقيادة الدولة العثمانية.

الكلمات المفتاحية: سليم الثالث، الإصلاحات، قوات الانكشارية، الدول الأوروبية.

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* **أستاذ مساعد- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة تشرين- اللاذقية- سورية.**

** **أستاذ مساعد- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة تشرين- اللاذقية- سورية.**

*** **طالب ماجستير- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة تشرين- اللاذقية- سورية.**

مقدمة:

تحولت الدولة العثمانية من قبيلة صغيرة إلى إمبراطورية كبرى بعد بسط سيطرتها على القسطنطينية عام 1453م وتوسعت في أوروبا والبلقان. شهدت الدولة في عهد السلطان سليمان القانوني ذروة اتساعها، لكنها بدأت تواجه مشاكل داخلية وخارجية مع مرور الزمن، مما جعلها عرضة للضعف، كان هدف البحث تسليط الضوء على جهود السلطان سليم الثالث لإصلاح الأوضاع وإعادة هيبة الدولة، وبعد السلطان سليمان القانوني دخلت الدولة العثمانية في عهد السلاطين الضعفاء الذين ورثوا إمبراطورية مترامية الأطراف، فانصرفوا إلى ملذاتهم وسلموا النساء وكبار الموظفين الحكم فضعفت الدولة العثمانية وانتشر فيها الترهل والفساد هذا على الصعيد الداخلي، أما على الصعيد الخارجي فقد تجرأت عليها الدول الأوروبية التي خرجت من عصر النهضة حديثاً، واستغلت الضعف الذي أصاب الجيش العثماني (الانكشارية) وانشغاله بالأمور الداخلية بدلاً من الدفاع عن الدولة العثمانية، مما سمح لها باسترجاع العديد من المناطق من يد الدولة العثمانية، لا نقول هنا أن السلاطين كانوا ضعفاء جميعهم بل ظهر بعض السلاطين الأقوياء الذين كان لهم دور كبير في محاولة إعادة القوة للدولة العثمانية وتنظيم الأوضاع الداخلية والخارجية لها، ومن هؤلاء السلاطين السلطان سليم الثالث الذي حاول إعادة الدولة العثمانية إلى أوج قوتها مكن خلال الإصلاحات التي حاول تطبيقها في الدولة العثمانية على النظام الأوروبي الحديث، ولكن معارضي الإصلاح الذين ستتأثر ثروتهم ونفوذهم في حال قيام السلطان بهذه الإصلاحات وخاصة الانكشارية التي سوف تخسر الكثير من امتيازاتها، فقد وقفت في وجه السلطان سليم الثالث في محاولاته للإصلاح.

سبب اختيار البحث وأهميته:

تم اختيار هذا البحث لرغبتي في معرفة أوضاع الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الثالث ومحاولته لتجديد الدولة العثمانية التي أصابها الضعف والانحلال بعد عهود من القوة والسيطرة، وهي أكبر قوة إسلامية في ذلك الوقت، وتعود أهمية هذا البحث في دراسة أوضاع الدولة العثمانية ومحاولة السلطان سليم الثالث في تطوير وإصلاح الدولة وإعادة أمجادها التي تحققت في القرن السادس عشر الميلادي، على الرغم من الأخطار الداخلية والخارجية السيئة التي كانت تحيط بالدولة العثمانية.

إشكالية البحث:

حاول السلطان سليم الثالث الدفع بعجلة التطور في الدولة العثمانية يدفع البحث لطرح التساؤلات التالية:

1–هل رغب السلطان سليم الثالث بإصلاح الدولة العثمانية لأمر شخصية أم بسبب حاجة الدولة العثمانية لهذا التطور والإصلاح ؟

2–هل شمل التطور مختلف مجالات الحياة في الدولة أم كان للجيش العثماني الجزء الأكبر من هذه الإصلاحات ؟

3–هل كان هناك مؤيدون للسلطان في عملية التطور والإصلاح التي قام بها في الدولة أم كان المعارضون لهذا التطور هم الفئة الأكبر؟

4– ما هو رد فعل الدول الأوروبية على عملية الإصلاح هذه وكيف كانت علاقاتها مع الدولة العثمانية؟

منهجية البحث:

اعتمد البحث على المنهج التاريخي القائم على جمع المصادر والمراجع الخاصة به، ودراستها والتدقيق بمعلوماتها، ثم تم الاعتماد على المنهج السردي لشرح الأحداث التي ألمت بالدولة العثمانية، ثم استخدام المنهج التحليلي للأحداث ورغبة السلطان سليم الثالث بإجراء الإصلاح في الدولة العثمانية.

1-أوضاع الدولة العثمانية قبل وصول السلطان سليم الثالث للعرش:

شهدت الدولة العثمانية بعد وفاة السلطان سليمان القانوني (1520-1566م)[1] اضطرابات سياسية متزايدة، حيث ساد الفساد والمحسوبية نتيجة بيع المناصب لأشخاص غير مؤهلين، وتزايد تدخل النساء والنخب في الحكم. أثرت هذه التحديات الداخلية والخارجية سلباً على استقرار الدولة وقوتها، مما أدى إلى تدهور هيبتها أمام الدول الأوروبية، وأصبح الصدر الأعظم[2] والوزراء يحلون مكان السلطان في اتخاذ القرارات المهمة في الدولة العثمانية، وأصبح دورهم يقتصر على حضور الحفلات الخاصة والعامة، وحضور التشريفات وفي بعض الأحيان استقبال السفراء ومقابلتهم.[3]

عندما كانت الانكشارية[4] تحت إشراف السلاطين العثمانيين مباشرة ويطبق نظامها بشكل دقيق كانت تستطيع تحقيق الانتصارات واجتياز المسافات والممرات واختراق الحصون، ثم بدأت تتغلغل الفوضى في صفوفها وتسلم قيادتها أشخاص غير مؤهلين لم يطبقوا نظامها التي تربت عليه، فأصبحوا يتدربون على الحركات البهلوانية والرياضية ويشاركون في حفلات الأعراس والطهور، ونتيجة قلة الفتوحات في ذلك الوقت حصل نقص في موارد الخزينة للدولة مما دفعهم لفرض الضرائب وخلط العملة بالمعادن الخفيفة مما أدى إلى انهيار قيمتها، وبالتالي عدم القدرة على دفع رواتب الجند، فساء الوضع كثيراً والثورات تزداد اشتعالاً في جميع أنحاء الدولة العثمانية، مما دفع السلاطين لمعالجة الخطأ بأخطاء أخرى وهي شراء المعارضين وأصحاب النفوذ في الدولة والولايات التابعة لها، وبنتيجة هذه الفوضى في الدولة العثمانية والتي حلت في صفوف الانكشارية كثرت الرشاوي وإعلان العصيان والثورة، في حال تسلم شخصية منهم منصب الصدر الأعظم، وكل من يتولى منصب في الدولة عليه إرضاء زعماء الانكشارية، فهو إذا لم يقم بذلك فلن يستمر بعمله هذا إذا بقي على قيد الحياة، ولم يقتصر انتشار الفساد على الانكشارية فقط بل أصاب الاسطول العثماني، فتعيين علي آغا، وهو من الانكشارية قائداً للأسطول العثماني كان أحد مظاهر الفساد في الدولة العثمانية،

---

[1] سليمان القانوني: ولد في طرابزون عام 1494م تلقى تعليماً جيداً منذ طفولته، وكان تعليمه منصباً على إدارة الدولة والجيش والعلوم الإسلامية عاش في استانبول في عهد والده وأصبح والياً على صاروهان في غربي الأناضول، وفي عام 1520م بعد وفاة والده جلس على عرش السلطنة العثمانية في قصر طوب قابي. كولن، صالح: سلاطين الدولة العثمانية، ترجمة منى جمال الدين، دار النيل، استانبول، ط1، 2014م، ص103.

[2] الصدر الأعظم: وهو لقب رئيس الوزراء في الدولة العثمانية، ويسمى الباب العالي وهو يرأس الديوان ويعقد الاجتماعات الشهرية ويستقبل كبار الموظفين مرتين اسبوعياً، وعندما يعين شخص في منصب الصدر الأعظم يتلقى خاتماً من الذهب عليه ختم السلطان، وعندما يعزل من منصبه يسلم الخاتم في حفل عام، ثم يذهب إلى منفاه إذا لم يحكم عليه بالموت. الكيالي، عبد الوهاب: موسوعة السياسة، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م، ص632.

[3] جيب، هاملتون وبوين هارولد: المجتمع الإسلامي والغرب وأثر الحضارة الغربية في الفكر الإسلامي في الشرق الأدنى، ج1، ترجمة عبد المجيد القيسي، دار المدى، دمشق، ط1، 1997م، ص215.

[4] الانكشارية: بمعنى القوات الجديدة وهي فيالق عسكرية تكونت من أبناء رعايا الدولة الذين تم جمعهم من مختلف الولايات العثمانية في أوروبا وكانت أعمارهم ما بين السادسة والخامسة عشر من عمرهم. صابان، سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000م، ص41.

فهو شخص اشترى المنصب عن طريق الرشوة، ولا علم له بالبحار وقيادة السفن ولإبراز شخصيته كان يعطي أوامر لقادة السفن بالسير عكس اتجاه الرياح، وأمراء البحر لم يهمهم بناء السفن لسد حاجة الأسطول العثماني بل أصبح همهم الحقيقي الرشوة وجمع المال لسد حاجاتهم المادية كما يفعل موظفو الدولة العثمانية الآخرين، لذلك أصيب الأسطول العثماني بالضعف والترهل ولم يعد قادراً على مواجهة أساطيل الدول الأوروبية، وفقد العثمانيون سيادتهم البحرية وأصبح تواجدهم في البحرين الأبيض المتوسط والبحر الأحمر محدوداً.[5]

2- شخصية السلطان سليم الثالث (1789–1807م):

ولد السلطان سليم الثالث في استانبول عام 1761م، وتلقى تعليماً متقدماً بإشراف عمه السلطان عبد الحميد الأول (1774–1789م)[6] كان يتمتع بشخصية مبدعة ووعي سياسي، مما أهله ليكون حاكماً ناضجاً ومدركاً للتحديات الكبيرة التي تواجه الدولة العثمانية عند اعتلائه العرش على عكس من سبقوه من سلاطين الضعفاء الذين استلموا سدة الحكم في الدولة العثمانية بعد السلطان سليمان القانوني[7]، وهو أرقى السلاطين العثمانيين الذين تسلموا السلطة بعد السلطان مراد الثالث المتوفي في عام 1595م، وهو من أعظم السلاطين حتى عام 1808م من حيث الثقافة والتحصيل العلمي، فقد وصل إلى درجة عالية في جميع الفنون فقد كان شاعراً وخطاطاً وعازفاً على الناي مجتهداً وطنياً مخلصاً له إلمام باللغات الشرقية كافة ذكياً ومصلحاً[8]، وبسبب قدراته الكبيرة وروحه العالية عندما استلم سدة الحكم استبشر شعب يستبشر خيراً بتولي العرش أمير شاب يستطيع إنقاذ الإمبراطورية مما تعاني منه فنتيجة الحرية التي منحها له عمه عبد الحميد الأول تقرب من بعض الشخصيات الأوروبية، في الحصول على معلومات عن الدول الأوروبية، كيف تدار مؤسساتها المدنية والعسكرية، حتى يتمكن من معرفة أسباب تفوقهم على العثمانيين، كما أجرى سليم الثالث مراسلات مع الملك الفرنسي لويس السادس عشر (1774–1793م)[9]، التي كان يعدها من أرقى الدول الأوروبية للحصول على معلومات سياسية عن قادة الدول الأوروبية وطريقة إدارتهم لبلادهم ونظمهم الإدارية، كما راسل الكثير من قادة الدول التي كانت على علاقة الذين كانوا على علاقات جيدة مع والده وعمه، لقد كان سليم الثالث مدركاً لتدهور الأوضاع في الدولة العثمانية وأهم الأمراض المتفشية في أجهزة الدولة لذلك أراد استئصالها من جذورها، مما

[5] عامر، محمود علي: تاريخ الدولة العثمانية كلية الآداب، جامعة دمشق، 2003–2004م، ص55–56 وص67–68.

[6] عبد الحميد الأول: ولد في استانبول عام 1725م، وهو ابن السلطان أحمد الثالث قام بحركات إصلاحية كثيرة انتصر على ألمانيا عام 1788م، وتوفي عن عمر 64 عاماً ومدة حكم دامت خمسة عشرة عاماً. ده ده أوغلو، عبد القادر: السلاطين العثمانيون، ترجمة: محمد جان، الدار العثماني للنشر، استانبول، 1397هـ، ص73.

[7] كولن، سلاطين الدولة العثمانية، ص258–259.

[8] أوزتونا، يلماز: تاريخ الدولة العثمانية، المجلد الأول، ترجمة: عدنان محمود سليمان، مراجعة محمود الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، ط1، 1988م، ص643.

[9] لويس السادس عشر: ولد عام 1754م وهو حفيد وخليفة الملك لويس الخامس عشر تزوج من ماري انطوانيت عام 1770م كان يحب أن يكون ملكاً صالحاً تحبه رعيته حاول القيام ببعض الإصلاحات العامة، لكن طبقة النبلاء ذات الامتيازات منعت نجاحه في عهده نشبت الثورة الفرنسية عام 1789م، فخلع عن العرش في عام 1792م، وأعدم بالمقصلة عام 1793م. البعلبكي، منير: معجم أعلام المورد موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1992م، ص395.

جعله متحمساً للقيام بأعمال الإصلاح في دولته والتخلص من الشرور التي أصابتها وإعادتها إلى وضعها الطبيعي بين دول العالم.[10]

-أعمال السلطان سليم الثالث في الدولة العثمانية:

عند توليه العرش دعا السلطان سليم الثالث قادة الدولة إلى استعادة أمجاد الدولة العثمانية من خلال الالتزام بالإصلاحات العسكرية والاقتصادية اللازمة لتقوية الجيش وإصلاح إدارة الموارد المالية، مؤكداً على أهمية العودة إلى القيم الدينية والجهادية كقوة دافعة في مواجهة الأعداء وأصدر فرماناً[11] بتقديم علاوات وحوافز للضباط والجنود العثمانيين[12]، وكانت روسيا والنمسا قد تحالفتا ضد الدولة العثمانية وبدأت قواتهما في السيطرة على بعض أراضيها، فتمكنت القوات الروسية من الاستيلاء على الأفلاق والبغدان وبساربيا[13]، بينما تمكنت القوات النمساوية من الاستيلاء بلاد الصرب ودخلت بلغراد، لكن قيام الثورة الفرنسية عام 1789م أنهى هذا التحالف عندما فككت النمسا تحالفها مع روسيا وأعادت للدولة العثمانية بلاد الصرب وبلغراد، لكن القوات الروسية تابعت تقدمها في الأراضي العثمانية واستولت على بعض المدن الجديدة، فتدخلت الدول الأوروبية انكلترا وهولندا وبروسيا للتوسط بينها وبين الدولة العثمانية، وفي نهاية المفاوضات تم بين الطرفين توقيع معاهدة ياسي عام 1791م، ومن بنودها احتفاظ روسيا ببلاد القرم نهائياً وبساربيا، وأصبح نهر الدنيستر[14] فاصلاً بين البلدين[15] ، وبعد انتهاء المعارك الخارجية أراد السلطان سليم الثالث الالتفات لتطوير الدولة العثمانية، فقد أدرك ما هي خطورة أن يفقد الديوان الهمايوني فعاليته وأن الشعب يجب أن يشارك في إدارة الدولة لذلك قرر تشكيل مجلس شورى يضم أركان السلطنة ورجال الدولة الذين يحترمهم الشعب[16]، كما أراد محاربة الفساد من خلال محاولة تقييد سلطات كبار رجالات الدولة وتخفيض أعدادهم بما يسمح للشخص المناسب القيام بعمله بشكل جيد، وبذلك يكون قد أغلق الباب أمام المستغلين والطامعين بنهب أموال الدولة، والسيطرة على المخصصات المالية للوزراء الذين كانوا يشغلون منصب حكام الولايات، فيحصلون على الضرائب المفروضة على ولاياتهم فيرسلون إلى الخزينة العثمانية بعض الأموال من هذه الضرائب والباقي منها يتركونها لخزينتهم الخاصة[17]،

---

[10] مصطفى، أحمد عبد الرحيم: في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2003م، ص173-174.

[11] الفرمان: هو الأمر السلطاني الرسمي المكتوب الصادر في قضية من القضايا كان يتم تدوينه في الديوان الهمايوني ويسجل ملخصه في سجل الديوان، ويشتمل على طغراء السلطان، وكان يصادف في بعض الأحيان تعليق بخط السلطان على الفرمان. صابان، المعجم الموسوعي، ص164.

[12] جودت أحمد باشا: تاريخ جودت ترتيب جديد، ج4، المطبعة العثمانية، استانبول، 1313هـ، ص234.

[13] بساربيا: هو إقليم في رومانيا في الجزء الشمالي منها يصل إلى سواحل البحر الأسود شمال مصب نهر الدانوب وهي المنطقة المحصورة بين نهري برت ودنيستر. شكر، محمود: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية من العهد العثماني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1991م، ص153.

[14] نهر الدنيستر: بالتركية نهر طورلة يجري في بساربيا، وينبع من السفوح الشمالية لجبال الكربات، ويتجه شرقاً ليصب في البحر الأسود قرب أوديسا. حسون، علي: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الإسلامي، بيروت، 1994م، ص146.

[15] ياغي، اسماعيل أحمد: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1995م، ص 125. وآصاف ، يوسف بك: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تقديم: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1995م، ص113.

[16] كوندوز، أحمد آق: الدولة العثمانية المجهولة، مكتبة توران، استانبول، 2008م، ص401.

[17] دسوقي، ناهد ابراهيم: بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية وأثر الغرب الأوروبي فيها (1789-1807م)، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2007م، ص182.

كما أراد وضع الحد لهبات التعيين التي كانت تدفع من كبار الموظفين والوزراء للسلاطين كهدايا للحصول على مناصب إدارية، والعيدية التي يدفعها الموظفون العاديون لرؤسائهم للإبقاء في وظائفهم، والمبالغ التي كانت تدفع للعلماء من قبل الصدر الأعظم قبل حلول شهر رمضان، فرأى فيها السلطان بأنها تكلف الدولة أعباء مالية والأفراد وتؤدي إلى الرشوة، مما دفعه إلى إصدار فرمان عام 1795م للحد من هذه التصرفات[18]، كما تم تعيين الكتاب في إدارات الدولة عن طريق اختبارات وتم تحديد أعدادهم ويشترط بقائهم عامين بعدها عليهم إثبات صلاحيتهم للعمل وإلا تعرضوا للفصل، وفي حال أثبت الكاتب جدارته يحق له بالتوصية بمناصبهم لأبنائهم الصالحين لشغل هذه الوظيفة وإلا يتم تعيين غيرهم من المتدربون والاحتياطيون، وتم ذلك لأن الكثير من الكتاب لم يكونوا من ذوي العلم والكفاءة لأن الكتاب كان يتم تعيينهم بالرشوة والواسطة، كما تم تعديل نظام الخدمة ومنح المكافآت للكتاب والمتدربين من خلال واردات الإقطاعات التابعة لأقسامهم[19]، وهذه الإجراءات أدت إلى تخفيض عدد الكتبة، كما عمل السلطان على الحد من سلطة الصدر الأعظم فقد كان هذا المنصب في عهد السلاطين الضعاف يتمتع بكافة السلطات من عزل وتعيين وحبس وتحرير وتأمين نظام السلطنة، وكان هذا الإجراء هو إلزامه بمشاورة الديوان السلطاني في الأمور الهامة قبل أن يتخذ أي إجراء أو تدبير[20]، في المجال الاقتصادي أسس السلطان سليم الثالث خزينة خاصة لتمويل نفقات الجيش والحروب، مما ساهم في تعزيز كفاءة إدارة الموارد المالية للدولة، كما قام بإصلاح النظام الضريبي لتأمين إيرادات مستقرة ودعم ميزانية الدولة بموارد إضافية، وكذلك أسس السلطان سليم الثالث خزينة المؤن ومهمتها توفير المؤن بشكل منظم ومقرها قصر السلطان ويشرف عليها موظفان[21]، ودعا السلطان إلى إعادة تنظيم الشؤون المالية وتزويد المدن بالمنتجات الأساسية كالحبوب والبن وإلزام الفلاحين بالعودة إلى قراهم[22]، كما اهتم بالصناعة وأدخل المكنات والأساليب الصناعية الأوروبية إلى الدولة العثمانية لتأمين حاجات الجيش من مدافع وعتاد، وأنشأ معمل للنسيج لغزل الأقمشة اللازمة للملابس الرسمية ومعمل للورق[23]، كما قام بإلغاء الزعامت والتيمارات لأناس تخلو عن أداء ما عليها من ضرائب لخزانة الدولة وتخلو عن واجباتهم العسكرية أثناء الحرب مع روسيا، وعمل على استرجاع الإقطاعات بعد وفاة أصحابها وألغى نظام الالتزام لتحصيل الضرائب فأصبح يجب على موظفي خزينة الدولة جباية الضرائب، فاستطاع بذلك إخضاع جميع مصادر المال لخزينة الدولة العثمانية مباشرة[24]، كما اضطر السلطان سليم الثالث لانقاص قيمة العملة لتخفيف الضغط على خزينة الدولة، وأصدر فرمان يحظر فيه صناعة المشغولات الذهبية والفضية إلى في حلي النساء، وطلب من أعضاء الطبقة الحاكمة والشعب بيع مقتنياتهم من ذهب وفضة لخزينة الدولة، حتى تتمكن الدولة من صهرها وتحويلها إلى عملة.[25]

[18] زكي، محمد: عثمانلي تاريخي، ج3، استانبول، 1955م، ص637.

[19]Shaw. Stanford: Between old and new, the ottoman empire under selim III (1789-1807), Harvard, 1971, p.173.

[20] عودة، محمد عبدالله وياسين، ابراهيم: تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر، عمان، 1989م، ص189.

[21] أوغلي، أكمل الدين احسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج1، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، 1999م، ص621–622.

[22] مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج2، ص14.

[23] كوندوز، الدولة العثمانية المجهولة، ص728.

[24] دسوقي، بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية، ص202.

[25] أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص655.

أما دبلوماسياً فقد قام السلطان العثماني بتعيين سفراء دائمين في عواصم الدول الأوروبية، وكانت مهمة هؤلاء السفراء هو إرسال تقارير بشكل متواصل للدولة العثمانية عن التطور الصناعي والعسكري لهذه الدول، كما أنشأ السلطان سليم الثالث مجلساً مهمته قراءة التقارير الواردة من السفراء ودراستها واتباع أفضل التقارير[26]، وخضعت العلاقات الخارجية لسكرتير الصدر الأعظم وهو رئيس الكتاب، ولم يكن ملماً باللغات الأجنبية ويستخدم مترجمين أجانب، ورغم عدم تأثر السفراء بالغرب الأوروبي فقد استفادت الدولة العثمانية من الشباب الذين شغلوا مناصب في هذه السفارات فتعلموا اللغات الأجنبية، واحتكوا بالحضارة الغربية، واستفادت الدولة منهم بعد عودتهم في إقامة جهاز إداري متعلم اللغات الأوروبية ومطلع على ثقافتها ونظمها.[27]

أما اجتماعياً فقد عمل السلطان سليم الثالث على إعادة أهل القرى إلى قراهم التي تركوها واستقروا في استانبول، مما أدى إلى زيادة الضغط السكاني وزيادة الاحتياجات لذلك، أمر السلطان بإغلاق المقاهي والخانات وإعادة من لا يملك مسكن في العاصمة إلى قراهم، كما أجبر أصحاب المهن على ارتداء الملابس الخاصة بكل مهنة حتى يعرف من هو الدخيل على هذه المهن[28]، كما عمل على افتتاح المدارس المختلفة في مركز الدولة وثم في جميع ولايات الدولة في سياسة الاهتمام بالتعليم بهدف إيجاد طبقة من المثقفين لإدارة أمور الدولة لذلك أصدر قراراً بأن يشغل المناصب الإدارية ومن يعمل في الإدارة أن يكونوا من خريجي المدارس، كما قامت المدارس المهنية والمدارس العالية بفتح أبوابه لكافة رعايا الدولة العثمانية من مسلمين وغير المسلمين[29]، كما اهتم السلطان بالمرأة العثمانية ورأى ضرورة أن تحصل على حقها مثلها مثل الرجل في التعليم وأن تشارك الرجل في إدارة شؤون الدولة العثمانية وتسهم ببنائها وتطويرها مثل الرجل[30]، كما أدى دخول المطابع إلى الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الثالث إلى نشر الثقافة والوعي بين شعوب الإمبراطورية بسبب نقل المعارف الأجنبية، وفي عهده انتشرت حركة الترجمة من اللغات الأوروبية إلى اللغة العثمانية وتم طباعة هذه الكتب، فأصبحت في متناول الشعب مما أسهم بمعرفة العثمانيين عن حضارة الغرب وعلومه، كما طلب السلطان من سكان الإمبراطورية مراعات العادات والتقاليد في ارتداء الملابس الشرعية لمختلف فئات السكان فيها.[31]

أما في المجال العسكري فقد اهتم السلطان سليم الثالث بالجيش العثماني بسبب الهزائم المتكررة التي عانى منها الجيش العثماني وأدى لفقدان الدولة العثمانية للمزيد من أملاكها الأوروبية، لذلك أصبح الجيش أول اهتمامات السلطان العثماني فأنشأ فرقة صغيرة من الجند أسماها النظام الجديد عام 1793م يضم عدة آلاف من الجنود المدربين والمنظمين على النظام الأوروبي وتمت إقامتهم في مناطق جديدة للإقامة بعيداً عن رقابة قادة الانكشارية، وتم إلباسها لباساً خاصاً على النمط الأوروبي وخصص لها إيرادات خاصة للصرف عليها أسماها الإيراد الجديد[32]، وكان يشرف

[26] جبارة، تيسير: تاريخ الدولة العثمانية (1280–1924م)عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2015م، ص165.

[27] مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص188.

[28] Shaw, op.cit, p. 175.

[29] بيات، فاضل: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، دار المنار، بيروت، ط1، 2002م، ص412.

[30] halide. Edib: Turkey faces west, new york, 1973, p. 65.

[31] بيات، دراسات في تاريخ العرب، ص418.

[32] كولن، سلاطين الدولة العثمانية، ص261.

على تدريب هذه الفرقة الجديدة خبراء أجانب من فرنسا وانكلترا وبروسيا، مما أدى إلى ظهور عنصر اجتماعي جديد وهم جنود وضباط الجيش والاسطول مطلعين على ملامح الحضارة الغربية من خلال القراءة من الكتب الأجنبية واحتكاكهم بالضباط الأجانب ولم تعد نظرتهم للأجنبي على أنه كافر بل طالبوا بالاقتباس عن الغرب للاستفادة من التطور الذي أصبحت عليه الدول الأوروبية، وتم تسليح هذه القوة الجديدة بالأسلحة الأوروبية المتطورة [33]، كذلك قام السلطان بإنشاء مدارس عسكرية جديدة واستقدم مهندسين من فرنسا والسويد لصب المدافع في معامل الطوبخانة[34]، وترجمت بعض المؤلفات الحديثة إلى اللغة العثمانية وخاصة العسكرية منها، حتى يكون المتدربون الجدد على اطلاع على كل ما يخص بتطوير شأن الطوبجية، بهدف بناء جيش عسكري جديد مدرب يتمتع بالمهارات الحديثة[35]، وأعضاء النظام الجديد لا يتدخلون بالسياسة ولا يعمل على نهب الشعب ولا يهتم بالصناعة والتجارة ولا يرفع سلاحه في وجه وطنه وقادته ولا يتراجع أمام العدو ويطيع قادته طاعة عمياء، وولائه للدولة وأن يكون ملماً بالعسكرية الحديثة وطرق تطبيقها ومجهزاً بالأسلحة الأوروبية الحديثة، وسيكون غذائه ولباسه ورواتبه جيدة[36]، ولم تطبق فكرة النظام الجديد في استانبول فقط بل طبقت أيضاً في الولايات التابعة للسلطنة وأقيمت لها سكنات خاصة بهم كما في مصر وعكا[37]، وقسم هؤلاء الجنود إلى فرق وزودت كل فرقة بثمانية مدافع من أجل الجنود، ومدفع للقائد ومدافع صغيرة للضباط، كما زودت هذه الفرق بالشباب الذين يمتلكون مقدرة وشجاعة، وفرض على الجنود التخلي عن وظائفهم الأخرى ومساكنهم والتفرغ للتدريب في هذه الفرق الجديدة، وفرض على هؤلاء الشباب البقاء لمدة ثلاث سنوات في هذه الفرق الجديدة لتستفيد الدولة من التدريبات المقدمة لهم، ومن يريد بعد هذه المدة ترك الخدمة يمكنه ذلك ولكن بعد أن يرد للدولة جميع المرتبات التي أعطيت له منذ التحاقه بالفرق الجديدة أما من يتركون الفرق نتيجة المرض أو كبر السن فكانوا يمنحون نصف معاشاتهم التي سيحصلون عليها عند التقاعد، وأما من ترك الخدمة بسبب الإصابة في الحرب فكانوا يمنحون معاشهم الكامل أو قد يزيد قليلاً [38]، وقد أثبت هذا الجيش مقدرته في عدة مواقع فقد طلب أحمد الجزار والي عكا مساعدة السلطان ضد الغزو الفرنسي عام 1799م، فقام السلطان بإرسال مئتين من جنود الجيش الجديد فانتصروا على القوات الفرنسية، وفي عام 1800م أرسل السلطان سليم ألفان من الجيش الجديد إلى الاسكندرية انضموا إلى ستة آلاف من الانكشارية تمكنوا من هزيمة القوات الفرنسية وطردها من مصر عام 1801م[39]، وعند عودة القوات المنتصرة إلى استانبول استقبلها السلطان سليم الثالث بفرحة الانتصار ووزع عليهم الأوسمة والأعطيات للضباط

[33] جبارة، تاريخ الدولة العثمانية، ص167.

[34] الطوبخانة: الاسم الذي أطلق على الأسلحة النارية كافة التي تطلق القذائف الحديدية والحجرية وقد اخترع المدفع قبل معركة كوسوفا الأولى عام 1389م، حيث استخدم فيها المدفع، وتطورت المدافع في عهد السلطان محمد الفاتح، ووصل المدفع التركي أوجه في عهد السلطان سليمان القانوني، ثم فاقته المدافع الأوروبية في نهاية القرن السادس عشر. صابان، المعجم الموسوعي، ص148–149.

[35] عامر، تاريخ الدولة العثمانية، ص294. والمحامي، محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط1، 1981م، ص371.

[36] أوزوتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص646.

[37] ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي، ص147.

[38] دسوقي، بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية، ص153–154.

[39] Shaw, op.cit, p.31-34.

والجنود، هذا الانتصار جعل السلطان سليم الثالث يصدر فرماناً في عام 1805م إلى ولاة الدولة العثمانية بتنظيم الشباب من الانكشارية والأهالي وإدخالهم وتدريبهم في فرقة الجيش الجديد.[40]

بالنسبة للأسطول البحري فمثلما أصاب الجيش الانكشاري أصاب الأسطول من فساد ورشوة وشراء المناصب وآخر الأمر هزيمة الأسطول العثماني أمام روسيا في البحر الأسود عام 1791م، مما دفع السلطان لاتخاذ قرار بإصلاح حال الأسطول العثماني، فقد أصدر السلطان جملة تعيينات للجنود والقباطنة الأكفاء فقط ورفع رواتبهم بما يتناسب مع الأعمال التي يؤدونها وإعادة تنظيم الخدمات البحرية، كما أصبحت ميزانية الأسطول مستقلة عن ميزانية الدولة، وأن يكون الجنود من أبناء الأسر التي تعيش قريباً من البحر أو أبناء التجار الذين تكون تجارتهم متعلقة بالنقل البحري وهؤلاء اعتادوا على الحياة البحرية، وفي عام 1793م تم تحديث الموانئ العثمانية وبناء سفن جديدة على الطراز الأوروبي تحت إشراف وتوجيه خبراء فرنسيين تمكنوا من بناء قاعدة بحرية كبيرة وتدريب عدد كبير من الفنيين البحريين العثمانيين[41]، وقد ذكر جودت باشا بأن الأسطول العثماني قد بلغ واحد وستين سفينة عام 1804م، وقد أرسل السفير الانكليزي في استانبول إلى حكومته يخبرهم بأن الأسطول العثماني لم ير مثله، حتى قد أدخلت تجديدات على السفن القديمة على الطراز الفرنسي، وتم القضاء على عناصر الفساد ممن تعودوا صرف نفقات البحرية على أخشاب غير صالحة للصناعة وفرضت رقابة شديدة على ذلك[42]، وتم بناء مدرسة الهندسة البحرية لتدريب الطلاب على بناء السفن ورسم الخرائط والجغرافيا وتدريس العلوم البحرية الحديثة وبناء السفن وفق الطراز الأوروبي، وخصص لها مبنى خاص في الميناء[43]، وتم تأسيس مدرسة طبية في مبنى الترسانة لتدريب الأطباء والجراحين الذين سيتم تعيينهم في وظائف طبية على الأسطول، وتم ترجمة الكتب الطبية الأجنبية إلى اللغة العثمانية، وتم إحضار أحدث الأجهزة الطبية الأوروبية الحديثة، كما قام كوجك حسين باشا بتنظيم أمور البحرية وتدريب البحارة وتنظيم شؤونهم، وأنشأ مكتب خاص سماه مكتب البحرية يتعلم فيه الجنود الفنون والعلوم الحديثة وأقام مكتبة ضخمة تحوي العديد من الكتب الأوروبية المترجمة في مجال البحر، وأنشأ مطبعة خاصة لطباعة الكتب المهمة في الشؤون البحرية[44]، ومن أجل زيادة عدد الجنود البحريين وضع برنامج جديد للتجنيد ونتيجة الاقبال الكبير على الأسطول تم توسيع الترسانة الرئيسية وإنشاء ترسانات أخرى في مناطق مختلفة من العاصمة لاستقال هذه الأعداد الكبيرة، كما تم الاستعانة بالإنكليز في إقامة مصنع في لفند شفتلك[45] لصنع مستلزمات السفن البحرية ومدافع القنابل، واستغرق بناؤه عام كامل وأنتج المدافع ذات الأعمدة الأفقية والعمودية، وصناعة مدافع للقنابل ذات المدى البعيد.[46]

[40] البحراوي، محمد: حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني 1808-1829م، مطابع الإسلامي، مصر، ط1، 1978م، ص87.

[41] Thornton, Thomas: the present state of Turkey, vol 2, London, 1807, p.112.

[42]دسوقي، بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية، ص174.

[43] shaw, op. cit, p.160.

[44] شرف، عبد الرحمن: تاريخ الدولة العثمانية، ج2، مطبعة استانبول، 1314هـ، ص57 و255.

[45] لفند شفتلك: تقع على مرتفعات أورته كوي وأرناؤود كوي على الساحل الأوروبي للبوسفور. الشناوي، عبد العزيز: الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج1، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1983م، ص497.

[46] دسوقي، بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية، ص175.

أدركت الانكشارية ما يريده السلطان سليم من حركة الإصلاح وخصوصاً إصلاح الجيش وأنه سيطالها أولاً خاصة أن السلاطين الذين سبقوه كان يضمرون الشر لها، كما كسبت كره الأهالي لها بسبب انسحابها من ساحات القتال والهزائم التي حلت بالدولة العثمانية، فتشاورت الانكشارية مع زعاماتها والمؤيدين لها في ميدان الخيل وكان على رأس الاجتماع مفتي الإسلام قبقجي أوغلو الذي طالب الانكشارية بالتصدي للتغيير لأن ذلك سينال من العادات والنظم العثمانية، وأن إنشاء الفرق الجديدة يعني سيطرة الكفرة على القوات العسكرية الجديدة، وطلب عزل السلطان وتعيين مصطفى الرابع مكانه، فتوجه إلى القصر السلطاني بتكليف من الانكشارية وقابل السلطان وطالبه بالتنازل عن العرش حقناً للدماء، فتنازل عن العرش واقتيد إلى السجن حيث قطع رأسه بأمر من السلطان مصطفى الرابع ودفن في تربة أجداده.[47]

– دراسة مقارنة وتحليل لتأثيرات الإصلاحات العثمانية والإصلاحات الأوروبية في عهد السلطان سليم الثالث:

أجريت في الدولة العثمانية خلال عهد السلطان سليم الثالث إصلاحات واسعة تهدف إلى تحديث الدولة، مع التركيز على الإصلاحات العسكرية والإدارية والاجتماعية، وذلك في وقت شهدت فيه أوروبا تحولات جذرية شملت السياسة والعسكرة والتعليم والاقتصاد. كانت هذه الإصلاحات الأوروبية محفوفة بروح ثورية جديدة، فيما جاءت الإصلاحات العثمانية بدافع من الأزمات التي هددت الدولة وأضعفتها. ورغم تشابه مجالات الإصلاح، إلا أن التوجهات والعوامل التي أثرت على نجاحها أو فشلها كانت مختلفة. فيما يلي تحليل نقدي مقارن بين الإصلاحات في الدولتين، ومدى فاعليتها وتأثيراتها طويلة الأمد على كل منهما.

1– الإصلاحات العسكرية:

أ– الإصلاحات العثمانية:

قام السلطان سليم الثالث بتطبيق "النظام الجديد" في الجيش العثماني، بهدف استيراد التقنيات والتنظيمات العسكرية الأوروبية، حيث تم تدريب الجنود وفق المعايير الحديثة بمساعدة خبراء أوروبيين، وقد أظهرت هذه القوة الجديدة كفاءة مبدئية في بعض المعارك ضد الجيوش الأجنبية، حيث واجهت هذه الإصلاحات العسكرية مقاومة شديدة من الانكشارية الذين رفضوا أي تغيير يهدد امتيازاتهم، وقد أدى هذا الصراع إلى زعزعة الاستقرار الداخلي، ما أسفر عن فشل الإصلاحات العسكرية بعد الإطاحة بالسلطان سليم الثالث، لأن هذه الإصلاحات العسكرية محدودة الأثر بسبب عدم وجود دعم سياسي واسع لها من الداخل، وضعف القدرة على مواجهة معارضة الانكشارية. هذا التحدي الداخلي قلل من فاعلية "النظام الجديد" على المدى الطويل، ولم يحقق تطوراً فعلياً في القوة العسكرية العثمانية.[48]

ب– الإصلاحات الأوروبية:

شهدت أوروبا في المقابل، وخاصة فرنسا بعد الثورة الفرنسية، إصلاحات عسكرية شاملة تركزت على تطوير الجيوش الوطنية المدربة بشكل احترافي، وأدت هذه الإصلاحات إلى تعزيز القدرة العسكرية، مما ساهم في التوسع الإقليمي تحت قيادة نابليون بونابرت، ولم تواجه الإصلاحات العسكرية الأوروبية معارضة داخلية مؤثرة، حيث كان هناك توافق مجتمعي وسياسي كبير لدعمها. ساهمت هذه الإصلاحات في بناء جيوش وطنية قوية ومستقرة، عززت من نفوذ أوروبا عالميًا.[49]

[47] عامر، تاريخ الدولة العثمانية، ص294.

[48] محمد، سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة (1266–1924م)، دار بيروت، لبنان، 1995م، ص257.

[49] shaw, op. cit, p.167.

ج- المقارنة:

بينما كانت الإصلاحات العسكرية في الدولة العثمانية غير مكتملة وتعاني من مقاومة داخلية، نجحت الإصلاحات العسكرية الأوروبية نتيجة للدعم المؤسسي والسياسي، مما أدى إلى تحقيق استقرار عسكري طويل الأمد. نتيجة لذلك، تعزز النفوذ الأوروبي في حين استمرت الدولة العثمانية في التراجع أمام هذه القوى الصاعدة.

2- الإصلاحات الإدارية والمالية:

أ- الإصلاحات العثمانية:

حاول سليم الثالث إعادة تنظيم الموارد المالية من خلال إنشاء خزائن مستقلة لتنظيم الإيرادات والنفقات، والتقليل من الإنفاق الحكومي غير الضروري، بالإضافة إلى محاولة الحد من الفساد المستشري في جهاز الدولة،

حيث كانت الإصلاحات المالية والإدارية محدودة الفاعلية، حيث لم يكن هناك دعم كافٍ لهذه التغييرات من كبار المسؤولين الذين كانت مصالحهم تتعارض مع الإصلاحات، كما لم يتمكن سليم الثالث من إصلاح نظام الجباية بشكل جذري، مما ساهم في استمرار الأزمات الاقتصادية، وظل تأثير الإصلاحات المالية والإدارية محدوداً على المدى الطويل، حيث لم تحدث تغييرات جذرية في بنية الإدارة العثمانية، واستمرت الدولة في مواجهة الأزمات المالية والاقتصادية.[50]

• الإصلاحات الأوروبية:

ب- في أوروبا خاصة في فرنسا ما بعد الثورة، تم استبدال النظام الإقطاعي بأنظمة مركزية عادلة، عززت كفاءة الإدارة المالية والجباية. أسهمت هذه التغييرات في توطيد الدولة وتعزيز قدرتها على مواجهة التحديات المالية، و تمكنت أوروبا من بناء أجهزة إدارية قوية ومستقرة بفضل الإصلاحات المالية والإدارية، مما ساهم في تحسين الاقتصاد وزيادة الدعم الشعبي لهذه الإصلاحات، وهو ما عزز استقرار الدول الأوروبية.[51]

ج- المقارنة:

كانت الإصلاحات المالية والإدارية في أوروبا أكثر نجاحًا لأنها كانت مدعومة بتغييرات مؤسسية عميقة، على عكس الدولة العثمانية التي لم تستطع تحقيق تحول جذري في نظامها الإداري، مما أدى إلى بقاء الفساد وعدم استقرار الوضع المالي في الدولة العثمانية.

3. الإصلاحات الاجتماعية والتعليمية

أ- الإصلاحات العثمانية:

شملت إصلاحات سليم الثالث إنشاء المدارس وتوسيع التعليم، إضافةً إلى مراكز ترجمة الكتب الأوروبية بهدف رفع مستوى الوعي والثقافة في المجتمع العثماني، ولم تصل هذه الإصلاحات التعليمية إلى كافة فئات المجتمع، حيث بقيت محصورة في المدن الكبرى، مما أدى إلى ضعف تأثيرها على المجتمع العثماني ككل، كما ظلت الإصلاحات الاجتماعية والتعليمية محدودة الأثر في الدولة العثمانية، حيث لم تنجح في إحداث تحول ثقافي عميق، ولم تصل إلى الطبقات الاجتماعية الدنيا، مما حد من قدرتها على خلق طبقة مثقفة تدعم الاستقرار.[52]

---

[50] قيس، جواد العزاوي: الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1992م، ص48-50.

[51] shaw, op. cit, p.205.

[52] فاضل، بيات: راسات في تاريخ العرب في العهد العثماني رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، دار المنار الإسلامية، بيروت، ط1، 2002م، 412-418.

ب– الإصلاحات الأوروبية:

اتخذت أوروبا خطوات جادة لتوسيع التعليم ونشر المعرفة العلمية. بعد الثورة الفرنسية، تم تأسيس أنظمة تعليمية مركزية لنشر الوعي الوطني والثقافة الموحدة بين الشعوب الأوروبية، مما أسهم في تطوير قوى عاملة متعلمة ومجتمع مدني واعٍ، كما ساهمت الإصلاحات التعليمية الأوروبية في بناء مجتمع مثقف وقوي، ما دعم استقرار الدول وتقدمها الاقتصادي والعلمي، وأسهم في تطوير طبقة اجتماعية تدعم الدولة.[53]

ج–المقارنة:

كانت الإصلاحات التعليمية الأوروبية أكثر شمولاً وأثراً على المجتمع، حيث أسهمت في بناء طبقة مثقفة تدعم التقدم العلمي والثقافي. بالمقابل، بقيت الإصلاحات التعليمية في الدولة العثمانية محدودة الأثر، مما أعاق قدرتها على إحداث تطور ثقافي مستدام.

4. التوجهات السياسية والإصلاحات السياسية

أ– الإصلاحات العثمانية:

جاءت الإصلاحات العثمانية بشكل أساسي كرد فعل للأزمات الداخلية المتفاقمة، حيث سعى سليم الثالث إلى الحفاظ على وحدة الدولة من خلال تحديثات إدارية وعسكرية، لكنه لم يقم بإصلاحات سياسية جذرية تتضمن تغيير في بنية النظام الحاكم، وقد واجهت هذه الإصلاحات مقاومة شديدة من القوى التقليدية، ولم يكن هناك دعم سياسي كافٍ لها من النخب الحاكمة أو من المجتمع، كما كانت الإصلاحات السياسية العثمانية ضيقة الأفق، ومع استمرار نفوذ القوى التقليدية، بقيت الدولة العثمانية تتراجع تدريجيًا أمام القوى الأوروبية.[54]

ب– الإصلاحات الأوروبية:

في أوروبا، قادت الثورة الفرنسية إلى إصلاحات سياسية شاملة، ركزت على تعزيز مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان. كان لهذه الإصلاحات السياسية أثر كبير في تعزيز التماسك الوطني، وأدت الإصلاحات السياسية في أوروبا إلى بناء أنظمة سياسية متقدمة وأكثر استقراراً، مما عزز الوحدة الوطنية وساهم في تطور الدول الأوروبية.[55]

ج– المقارنة:

كانت الإصلاحات السياسية الأوروبية شاملة وتعتمد على مبادئ جديدة، في حين بقيت الإصلاحات العثمانية مرتبطة بالأنظمة التقليدية التي لم تسمح بإحداث تغيير حقيقي في النظام السياسي، مما أدى إلى عدم فعالية الإصلاحات في دعم استقرار الدولة العثمانية.

يمكن القول أن الإصلاحات التي أجراها السلطان سليم الثالث في الدولة العثمانية كانت تمثل بداية طموحة للتحديث، لكنها افتقدت للعمق المؤسسي والسياسي الذي احتاجته لتحقيق تحول حقيقي. افتقرت الإصلاحات العثمانية إلى دعم شعبي وسياسي داخلي كافٍ، مما أدى إلى فشلها في معالجة الأزمات الأساسية للدولة العثمانية على المدى الطويل. على الجانب الآخر، كانت الإصلاحات الأوروبية جزءًا من تحول شامل مبني على أساس فكري وثوري جديد، مما جعلها قادرة على بناء دول قوية ومستقرة تمكنت من بسط نفوذها في العالم، بينما بقيت الدولة العثمانية في تراجع مستمر نتيجةً لعدم استكمال الإصلاحات بشكل عميق وشامل.

[53] Aksan VH. Ottoman Wars 1700-1870: An Empire Besieged. Pearson Education; 2007, p.98.

[54] ابراهيم، بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية، ص84.

[55]shaw, op. cit, p.84.

الخاتمة:

ورث السلطان سليم الثالث دولةً تواجه تحديات داخلية وخارجية حادة، حيث ساد الفساد وتمردت الانكشارية، فيما شكلت التحديات الخارجية ضغطاً إضافياً على الدولة. أطلق السلطان سليم إصلاحات جذرية لمعالجة هذه الأزمات، مركّزًا على تقوية الجيش وتحسين الإدارة، إلا أن مقاومة بعض الفئات التقليدية أدت إلى فشل تلك الإصلاحات في تحقيق التغيير المنشود بشكل كامل، وتوصل البحث لبعض النتائج وهي:

– حاول السلطان سليم الثالث الاعتماد على الغرب في تطوير بلاده من خلال ترجمة الكتب وإدخال المطابع.

– قام بإنشاء المدارس وأحضر المدرسين من أوروبا، كما أنشأ المصانع واستقدم المهندسين الأوروبيين وخاصة من فرنسا لبناء مصانع المدافع وأنشأ ترسانات لبناء سفن الأسطول الحديثة.

– أراد إنشاء جيش جديد على النظام الأوروبي في نظامه وتقنياته وتدريبه واستقدام الأسلحة الحديثة وقد أثبتت القوات الجديدة فعاليتها.

– شاركه الكثير من القادة في عمليات الإصلاح بغرض دفع الدولة العثمانية إلى الأمام لتأدية دورها في النظام العالمي.

– أقام بعثات دبلوماسية في البلاد الأوروبية بشكل دائم للاطلاع على أسباب تطور الغرب إدارياً واقتصادياً وعسكرياً، والهدف الأهم هو الشباب العثماني الذي كان يعمل في هذه السفارات واطلاعه على اللغات الأوروبية، وعاداتهم وأساليبهم بهدف إنشاء جيل متطور من الإداريين في الدولة العثمانية.

– واجهت إصلاحات السلطان سليم الثالث مقاومة شديدة من الانكشارية والفئات المحافظة، مما أسفر في النهاية عن فشل الإصلاحات في إحداث تغيير دائم. دفع السلطان حياته ثمناً لمحاولاته في تحديث الدولة وتطويرها.

بالرغم من أن الإصلاحات التي أجراها السلطان سليم الثالث لم تحقق الأهداف المرجوة بالكامل، إلا أنها كانت بداية لتأسيس مفهوم جديد للإصلاح داخل الدولة العثمانية. وضعت هذه المحاولات اللبنة الأولى لحركة تحديثية أوسع استمرت حتى القرن التاسع عشر، حيث أدرك الحكام اللاحقون أهمية بناء جيش وإدارة متطورة للحفاظ على بقاء الدولة. وعلى الرغم من الصعوبات الداخلية التي واجهت هذه الإصلاحات، إلا أنها ساهمت في بلورة الوعي العثماني بضرورة التحديث، ما جعل من عهد السلطان سليم الثالث محطة أساسية في تاريخ النهضة العثمانية المتأخرة."

الجدول الزمني للإصلاحات العثمانية في عهد السلطان سليم الثالث

الوصف	الحدث أو الإصلاح	السنة
بدأ السلطان سليم الثالث عهده بالتأكيد على أهمية الإصلاح كوسيلة لاستعادة قوة الدولة.	تولي السلطان سليم الثالث العرش	1789
تشكيل وحدات عسكرية حديثة دربت على النمط الأوروبي، وكانت هذه أولى الخطوات نحو تحديث الجيش العثماني.	تأسيس "النظام الجديد"	1792
تأسس مجلس شورى يضم قادة الدولة لمناقشة التحديات وكيفية تنفيذ الإصلاحات الضرورية.	إنشاء مجلس شورى للإصلاحات	1793
تأسيس مدارس عسكرية على النمط الأوروبي لتدريب الضباط وزيادة الكفاءة العسكرية.	إنشاء مدارس عسكرية جديدة	1794

1795	إصلاح نظام الضرائب	إصدار مرسوم لتنظيم النظام الضريبي وتقليل التهرب الضريبي، بهدف دعم الموارد المالية للدولة.
1796	إصدار فرمان للحد من الفساد الإداري	مرسوم يقضي بضرورة مراجعة الكفاءات الوظيفية وتحديد آليات جديدة لتوظيف الكوادر المناسبة.
1797	إصدار قانون لتنظيم التعيينات في المناصب العامة	فرض اختبارات للكفاءات لضمان تعيين المؤهلين وإزالة المناصب التي تباع بالرشوة.
1798	إنشاء خزينة الإيرادات العسكرية	تأسيس خزينة مخصصة لتمويل الجيش والنفقات العسكرية، دعمًا للإصلاحات العسكرية وتطوير الجيش.
1800	إنشاء مراكز للترجمة والتعليم	تأسيس مراكز لترجمة الكتب الأوروبية، وإدخال مفاهيم حديثة في التعليم لدعم النهضة العلمية.
1801	إرسال بعثات دبلوماسية إلى أوروبا	إرسال سفراء دائمين لعواصم أوروبا للتعرف على الأنظمة الحديثة وكيفية تنظيم الإدارة والجيوش.
1805	توسعة "النظام الجديد" في الولايات	محاولة تطبيق النظام الجديد في الولايات التابعة كالعراق ومصر، بهدف توسيع نطاق الإصلاحات العسكرية.
1806	إصدار مراسيم تنظيمية للإدارة المالية	تنظيم ميزانية الدولة وتخصيص قسم لإيرادات الحروب، وضبط النفقات العامة للدولة.

Reference

- Aksan VH. Ottoman Wars 1700-1870: An Empire Besieged. Pearson Education; 2007
- Amer. Mahmoud Ali: History of the ottoman Empire Faculty of arts, Damascus university, 2003-2004.
- Asaf.youssef bey: History of the ottoman sultans from their first establishment until now, presented by: Muhammad zainhum Muhammad, arab library madbouly, cairo, ed. 1, 1995.
- Awda. Muhammad Abdullah and yassin Ibrahim: modern arab history, al-ahliya publishing, amman, 1989.
- Al- Baalbaki, Mounir: Dictionary of al- mawrid notables an encyclopedia of biographies of the most famous Arab and foreignfigures ancient andmodern taken from the al- mawrid encyclopedia, dar l-ilm lilmillain, Beirut, edition1, 1992.
-Al-bahrawi. Muhammad: the ottoman reform movement in the era of sultan Mahmud II 1808-1829, matbaa Islamic Egypt 1978.
- Al- Kayali. Abdul- wahhab: Encyclopedia of politics, vol.3, Arab Foundation for studies and publishing, Beirut, 1981.
-Al- Shennawi. Abd al-Aziz: the ottoman state, aslandered Islamic state, vol. 1, Anglo-Egyptian press, cairo, 1983.
-Bayat. Fadel: studies in the history of arabs in the ottoman era, anew vision in light of ottoman documents and sources, dar al- manar, Beirut, 2002.
- Colin. Saleh: Sultansof the ottoman Empire, translated by mona gamal el- din, Dar el-nil, Istanbul, 2011.

- Dedeh Oglu. Abdul qadir: the ottoman sultans, translated by Muhammad jan, ottoman publishing House, Istanbul, 1397AH.
- Desouky. Nahed Ibrahim: the beginings of reform in the ottoman state and the influence of western Europe on it (1789-1807), Alexandria knowledge establishment, 2007.
- Fadel, Bayat: studies in the history of the Arabs in the ottoman era, Anew vision in light of ottoman documents and sources, dar al- manar al- islsmiyyah, Beirut, 1 ed, 2002.
-halide. Edib: Turkey faces west, new york, 1973.
- Hassoun. Ali: history of the ottoman state and its forign relations, Islamic office, Beirut, 1994.
Jabara. Tayseer: History of the ottoman empire (1280-1924) deanship of scientific research and graduate studies, university of open Jerusalem Palestine, 2015.
- Jawdat. Ahmad pasha: Jawdats history, new Arrangement, vol. 1, secular press, Istanbul, 1313AH.
- Jeb. Hamilton and Ewen, Harold: Islamic society and the west and the impact of western civilization on Islamic thought in the near east, part 1, translated by Abdul Majeed al-qaisi, dar al- mada, Damascus, 1997.
- Kondoz. Ahmad aq: the unknown ottoman state, turan library, Istanbul, 2008.
- Lawyer, Muhammad Farid bey: History of the ottoman Empire, dar al-jeel, Beirut, D.T.
- Muhammad, suhail taqoush: the ottoman from the establishment of the state to the coup against the caliphate (1266-1924), dar Beirut, Lebanon, 1995.
- Mustafa. Ahmed abdel Rahim: the origins of ottoman history, dar al-shorouk, cairo, ed. 2, 2003.
- Oglu. Ekmeleddin ihsan: the ottoman state, history and civilization, part.1, translated by saleh saadawi, research center for Islamic history, arts and culture, Istanbul, 1999.
- Oztuna. Yilmaz: History of the ottoman state, vol.1, translated by adnan Mahmoud Suleiman, reviewed by Mahmoud al- Ansari, faisal finance corporation, Istanbul, 1988.
- Qais, jawad al- Azzawi: The ottoman state, Anew reading of the factores of decline, Arab house ofsciences, Beirut, 1992.
- Raki Muhammad: osmanli historical, part 3, Istanbul, 1955.
- Saban. Suhail: The Encyclopedic dictionary of Historical ottoman terms, King fahd library, Riyadh, 2000.
-Sharaf. Abdal-rahman: history of the ottoman state, vol.2, Istanbul press, 1314AH.
-Shaw. Stanford: Between old and new, the ottoman empire under selim III (1789-1807), Harvard, 1971.
- Shker. Mahmoud: encyclopedia of Islamic history and Islamic civilization from the ottoman era, Islamic office, Beirut, 1991.
-Thornton, Thomas: the present state of Turkey, vol 2, London, 1807.
- Yaghi. Ismail Ahmad: the ottoman state in Modern Islamic history, al- ubaikan library library, Riyadh, 1995.